الاسْتِفَادَةُ مِنْ وَصَايَا وَحِكَمِ لُقْمَان الحَكِيم فِي التَّربِيَةِ وَالتَّعْلِيم

The benefit of the wisdom and sermons of Luqman al-Hakim in education

د. عبد الحكيم بوزايدي

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة – الجزائر abdelhakim1213@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/4/25 تاريخ القبول: 2021/6/25 تاريخ النشر: 2021/6/30

ملخص: لما كانت وصايا لقمان الحكيم ومواعظه القيّمة لابنه من أهم وأبرز من حُفظت وصاياهم ومواعظهم؛ ولما كان لهذه المواعظ والوصايا والحكم الأثر البالغ والنافع في التربية والتعليم؛ ولما كانت هذه الحكم والوصايا ذات شأن عظيم ومنزلة رفيعة عند الناس عموما وأهل الإصلاح والتربية خصوصا؛ خلّدها الله تعالى في كتابه العزيز، في سورة سُميت بسورة لقمان؛ آثرت البحث في مضمون مواعظ ووصايا لقمان الحكيم التي أوردها القرآن الكريم، والتي يمكن الاستفادة منها في التربية والتعليم، في بحث موسوم بـ: "**الاسْتِفَادَةُ مِنْ وَصَايَا وَحِكَمِ لُقْمَان الحَكِيم فِي التَّربِيَةِ وَالتَّعْلِيم**"؛ عسى الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها. فما هي يا ترى هذه المواعظ والوصايا والحكم، وكيف نستفيد منها في مجال التربية والتعليم؟ من أبرز النتائج التي توصلت إليها: أن الله تعالى لم يذكر تلك المواعظ والحكم والوصايا ويُخلّدها لمجرد الذكر فقط، بل للاقتداء والعمل والتخلق بها وامتثالها في حياتنا، ووَعْظ من يمكن وعظه من أبناء وتلاميذ وطلبة عِلم وغيرهم، حتى يعم نفعها.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ لقمان الحكيم؛ الحكمة؛ الوصايا؛ التربية؛ التعليم.

Abstract:

The topic of the research is about the wisdom and sermons of Luqman al-Hakim mentioned in the Noble Qur'an, in a surah called : Surat Luqman.

The research has been marked by: " The benefit of the wisdom and sermons of Luqman al-Hakim in education " . I posed a problem that was as follows: what was this wisdom and sermons mentioned in Surat Luqman ? and how to benefit from the sermons and the wisdoms and wills of Luqman al-Hakim in education?

Finally, I concluded many results as: The sermons of Luqman al-Hakim, contain a variety of important wisdom for the people in general, and the people of reform and education in particular.

Keywords:

The Noble Qur'an; Luqman al-Hakim; wisdom; sermons; Wills; Education.

المؤلف المرسل: عبد الحكيم بوزايدي،

المنارة للاستشارات

1. مقدمة:

الوعظ والتعليم والنصح والإرشاد إلى ما ينفع سِمة أهل الصلاح والخير، الذين يؤمّلون ويرجون الخير لأنفسهم وأبنائهم وللناس أجمعين، فقد أُثِرت وحُفظت مواعظ ووصايا الرسل والأنبياء والصالحين في القرآن العظيم وفي سنة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وفي كتب الأولين والآخرين.

لما كانت وصايا لقمان الحكيم ومواعظه القيمة لابنه من أهم وأبرز من حُفظت وصاياهم ومواعظهم؛ ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم وأثنى عليها كثير من العلماء؛ قال ابن كثير –رحمه الله تعالى–: " هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه وتعالى عن لقمان الحكيم ليمتثلها الناس ويقتدوا بها." (ابن كثير، 1401هـ، ج3، ص446)، وفي موضع آخر قال: " فهذه وصايا نافعة جدا وهي من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم." (ابن كثير، 1401هـ، ج3، ص448)؛ وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور –رحمه الله تعالى–: " وحكمة لقمان مأثورة في أقواله الناطقة عن حقائق الأحوال، والمقربة للخفيات بأحسن الأمثال. وقد عنى بها أهل التربية وأهل الخير." (ابن عاشور، 1984م، ج21، ص150).

هذا غيض من فيض مما ذكره أهل العلم والفضل والصلاح من مدح وإطراء وثناء على هذه المواعظ والوصايا والحِكم، وانطلاقا من ذلك، ومع شيء من التقصي والتتبّع نجد أن الحِكَم والوصايا هي سِمة أهل الصلاح والخير، الذين يؤمّلون ويرجون الخير لأنفسهم ولأبنائهم وللناس أجمعين، فقد وردت وصايا المرسلين والأنبياء والصالحين وحُفظت في القرآن العظيم، وفي سنة النبي الكريم – عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم–، وفي كتب المتقدمين والمتأخرين؛ ولعل من أبرزها وصايا الرجل العظيم لقمان الحكيم.

المنارة للاستشارات

إن لهذا الرجل وحِكَمه ومواعظه أهمية بالغة، إذ لو لم يكن ذلك كذلك لما خصه رب العزة بالذكر، بل وقد وُسِمت سورة كاملة في القرآن الكريم باسمه وسُمّيت؛ وخصّه كبار العلماء والمصلحين بالذكر والمدح والثّناء، وخصصوا لحِكَمه ومواعظه حيزا هاما في كتبهم، ومن أبرزهم عالم المدينة المنورة مالك بن أنس –رحمه الله تعالى– الذي افتتح كتاب العلم من موطّئه بإحدى حكمه قائلا: "إن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء.". (مالك ابن أنس، 1406هـ – 1985م، ج2، ص1002)

من هذا المنطلق، وبالنظر لأهمية هذه النوادر، وما تضمنته من درر المواعظ والوصايا والحِكم، والتي تكتب بماء العيون، وخاصة ما تعلق منها بالجانب التربوي، وددت بيان بعض تلك المواعظ والحكم وربطها بالجانب التعليمي التربوي للاستفادة منها .

فما هي هذه الحكم والوصايا التي وردت في القرآن الكريم وكيف يمكن الاستفادة منها في التربية والتعليم ونشرها بين المعلمين والمتعلمين؟ الإجابة عن هذا التساؤل قسّمت البحث إلى عناصر تمثلت فيما يلي :

1) مقدمة.
2) أهمية الوصية.
3) مؤلفات اهتمت بلقمان الحكيم وبوصاياه وحِكَمه ومواعظه.
4) التعريف بلقمان الحكيم.
5) وصايا لقمان ومواعظه كما وردت في كتاب الله تعالى.
6) فوائد مستخلصة من الآيات القرآنية الكريمة في مجال التربية والتعليم والتكوين.
7) خاتمة.

المنارة للاستشارات

2. أهمية الوصية:

إن أعظم من وصى الناس هو ربنا سبحانه، فقد وصى عباده بأعظم الوصايا فقال سبحانه: ((وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا)) (النساء:131)، وقال تعالى: ((يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ))(النساء:11) ؛ ووردت ثلاث آيات متتالية في سورة الأنعام تضمنت وصايا من رب العالمين، بعد أن ذكر مجموعة منها، قال الله تعالى: ((...ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) (الأنعام:151)، ((... ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) (الأنعام:152)؛ ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) (الأنعام:153).

ووصى ربنا سبحانه رسله وأنبياءه فقال: ((شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا)) (الشورى:13).

ووصى رسلُ الله تعالى وأنبياؤه بَنيهم وأقوامهم بأحسن الوصايا، كيف لا وهم ينطقون بوحي السماء، فقد وصى إبراهيم أبو الأنبياء بنيه ويعقوب من بعده – عليهم جميعا أزكى الصلاة والسلام– بهذه الوصية الغالية وسجلها القرآن خالدة إلى يوم الدين فقال سبحانه وتعالى: ((وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) (البقرة: 132)، وقال سبحانه أيضا: ((أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) (البقرة: 133).

ووصى لقمان ابنه ووعظه أيضا مواعظ تكتب بماء العيون، يكفيها بهاء وحسنا وشرفا أن خلدها كتاب رب العالمين في سورة كاملة سميت بسورة " لقمان ".

المنارة للاستشارات

والتواصي بالحق من صفات المؤمنين الذين يرجون الخير ويسعون إلى إشاعته، قال الله تعالى: ((ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ)) (البلد:17-18)، وقال أيضا: ((وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(2) إلا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(3))) (العصر: 03)،

إن من أعظم الوصايا وأصدقها تلك التي تصدر من أفواه الآباء إلى أسماع الأبناء، فما أبلغها وأصدقها إن كانت من نبي كإبراهيم عليه السلام أو حكيم كلقمان، وما أشرفها إن خلدها كتاب رب العزة سبحانه. من هذا المنطلق آثرت الحديث في هذا الموضع عن وصايا لقمان الحكيم ومواعظه القيمة لابنه خصوصا ولأبنائنا عموما، لأن ربنا سبحانه لم يخلدها للذكر فقط بل للاقتداء والعمل بها أيضا، ووَعْظ من يمكننا وعظه بها من أبناء وتلاميذ وطلبة علم وغيرهم، حتى يعم نفعها جميع من يستمع إليها.

3/- مؤلفات اهتمت بلقمان الحكيم وبوصاياه وحِكَمه:

تتمثل أهم وأبرز المؤلفات التي اهتمت بسيرة وحكم لقمان الحكيم فيما يلي:

لعل أبرز من كَتَب في هذا المجال هم أهل التفسير، وهذا جلّي واضح لا يخفى على من تصفح تفسير سورة لقمان، وأكاد أجزم أن كل من تكلم أو ألّف في هذا الشأن شرب وارتوى ونهم الفوائد الجليلة من تلك التفاسير. لكني سأركز هنا على بعض المؤلفات التي انفردت بالحديث عن لقمان وحكمه وما تعلق بها، ومن ذلك:

- لقمان الحكيم في ضوء الكتاب والسنة، إعداد عبد الله علي أحمد الغامدي، إشراف أ.د. محمد عبد المنعم القيعي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في فرع الكتاب والسنة، جامعة أم القرى،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، سنة:1401هـ-1402هـ.
- القيم التربوية المتضمنة في سورة لقمان (من خلال وصاياه لابنه)، إعداد الطالب: عبد العزيز عبد المحسن محمد أبو حسن، إشراف: د. نجم الدين عبد

المنارة للاستشارات

الغفور الأنديجاني، بحث مكمل لمتطلبات درجة الماجستير في التربية الإسلامية، كلية التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، سنة: 1421هـ.

- الإعجاز البياني في آيات وصايا لقمان الحكيم وما ينطوي عليه من قيم: تأليف أ.د. مصطفى إبراهيم المشني، بحث منشور في مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية، إ.ع. المتحدة، المجلد السابع، العدد الثاني، جمادى الآخرة 1431هـ- يونيو 2010م.
- معجزة البناء القيمي للشخصية كما وردت في وصايا لقمان لابنه في القرآن الكريم: إعداد: د.زياد علي الجرجاوي و د.جمال زكي أبو مرق، بحث مقدم لمؤتمر الإعجاز في القرآن الكريم، المنعقد بكلية التربية بغزة، ما بين 10-12 صفر 1420 هـ- 15-17 ماي 2000م.
- قصة وصايا لقمان لابنه: تأليف أبي عبد الله مصطفى بن العدوي، مكتبة مكة الكرمة.

4/- التعريف بلقمان الحكيم:

1.4. اسمه ونسبه: لقمان اسم علم، مشتق من اللَّقم، والأظهر أن العرب عربته بلفظ قريب من ألفاظ لغتهم، وهو اسم ممنوع من الصرف لزيادة الألف والنون لا لأجل العجمية. ولقمان اسم رجل حكيم، صالح، سميت سورة كاملة في القرآن الكريم باسمه؛ وهو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح وهو آزر أبو إبراهيم، وقيل: هو لقمان بن عنقاء بن سرون، وقيل كان ابن أخت أيوب أو ابن خالته. وقيل: هو لقمان بن باعوراء، ابن أخت أيوب أو ابن خالته. (القرطبي، 1372هـ، ج14، ص59)؛(ابن كثير، 1401هـ، ج3، ص445)؛ (ابن عاشور، 1984م، ج21، ص151).

قيل: أدرك لقمان داودَ -عليه السلام- وأخذ عنه العلم، وكان قاضيا على بني إسرائيل ومفتيا قبل مبعث داود، وهو ليس لقمان بن عاد كما يذكر بعض المؤرخين. (ابن العربي، 1424هـ -2003م، ج3، ص528).

المنارة للاستشارات

2.4. صفاته الخلقية والخلقية:

أُثرت عن لقمان صفات خَلقية وخُلقية عديدة فعن ابن عباس – رضي الله عنهما –: أن لقمان كان عبدا حبشيا، وروي عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان أسود من سودان مصر، من بلاد النوبة. (الطبري، 1422هـ - 2001م، ج18، ص547)؛ (القرطبي، 1372هـ، ج14، ص60)؛ (ابن كثير، 1401هـ، ج3، ص445).

اختلف العلماء في نبوة لقمان على قولين: أحدهما أنه كانا حكيما ولم يكن نبيا، قاله سعيد بن المسيب، ومجاهد وقتادة؛ والثاني: أنه كان نبيا، قاله الشعبي، وعكرمة والسدي، والصحيح الذي عليه أكثر أهل العلم أنه لم يكن نبيا (ابن الجوزي، 1404هـ-1984م، ج6، ص317)؛ (ابن كثير، 1401هـ، ج3، ص444)؛ بل كان عبدا صالحا حكيما، لأن الله وصفه بذلك في قوله: ((وَلَقَدْ آَتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ)) (لقمان:12)، إلا إذا فسرنا الحكمة بالنبوة وهذا خلافا لما عليه أهل العلم من أن الحكمة ليست النبوة، قال الطبري:" ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين، والعقل، والإصابة في القول، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل." (الطبري، 1422هـ - 2001م، ج18، ص546).

أُثرت أقوال كثيرة عن مفهوم الحكمة (الطبري، 1422هـ-2001م، ج5، ص8-12)؛ (القرطبي، 1372هـ، ج3، ص330)؛ (ابن كثير، 1401هـ، ج1، ص323)، فرُوي عن مجاهد أنها: " الصواب والأمانة "؛ وقيل: " الصواب في غير النبوة "؛ وروي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن الحكمة هي: العقل والفهم والفطنة؛ ونقل ابن أبي حاتم عن مجاهد أنها: العقل والفقه والإصابة في القول؛ وقال مالك بن أنس –رحمه الله تعالى–: " الحكمة المعرفة بدين الله والفقه فيه، والاتباع له."؛ وقيل: " هي معرفة الموجودات وفعل الخيرات "؛ وقيل هي: " توفيق العمل بالعلم "، وقيل: " حصول العمل على وفق المعلوم"؛ وقيل: "إتقان الشيء علما وعملا". قال قتادة : "خيّر الله تعالى لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة." (القرطبي،

المنارة للاستشارات

1372هـ، ج14، ص59-60)؛ وروي عن مجاهد أنه قال:" كان لقمان رجلا صالحا ولم يكن نبيا." (الطبري، 1422هـ-2001م، ج18، ص546).

والذي يظهر من أقوال العلماء أن لقمان كان رجلا صالحا حكيما ولم يكن نبيا، ويؤيد ذلك ما نبّه عليه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور –رحمه الله تعالى– حيث قال: (والاقتصار على أنه أوتي الحكمة يومئ إلى أنه أُلهم الحكمة ونطق بها، ولأنه لما ذكر تعليمه لابنه قال تعالى: (وَهُوَ يَعِظُهُ) وذلك مؤْذِن بأنّه تعليم لا تبليغ تشريع.) (ابن عاشور، 1984م، ج21، ص151).

3.4. صنعته: كان لقمان كغيره يأكل من كسب يده، وقد نّقل أنه كان نجارا، وقيل إنه كان خياطا، وقيل إنه كان راعيا وحطابا.(الطبري،1422هـ-2001م،ج18، ص546)؛ (ابن كثير،1401هـ، ج3، ص444). والذي ظهر لي – والعلم عند الله تعالى – : أنه لا مانع من كون لقمان قد مارس كل ما سبق ذكره، وأنه كان رجلا صَنِيع اليدين، قد عمل بعضا من تلك الأعمال في وقت ما، ثم انتقل إلى أخرى بعد ذلك؛ أو أنه كان يمارسها في أوقات دون أوقات، خاصة مع التداخل الموجود بينها، فقد يمارس الرعي ويحتطب في الوقت نفسه، ثم يستعمل الحطب في النجارة.

5/– وصايا لقمان ومواعظه كما وردت في كتاب الله تعالى:

قال الله تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

المنارة للاستشارات

(17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19))) (لقمان: 12-19).

6/- فوائد مستخلصة من الآيات القرآنية في مجال التربية والتعليم والتكوين:

لعل أهم الفوائد التي يمكن استخلاصها من الآيات القرآنية الكريمة سالفة الذكر والتي لها متعلق بمجالات التربية والتعليم والتكوين تتمثل فيما يلي:

✍ أول ما يبدأ به المعلم والأستاذ والمربي هو شكر النِّعم، نِعم الله تعالى التي لا تحصى ولا تعد، ومنها نعمة العقل الراجح والسمع والبصر، ونعمة تحصيل العلم والنجاة من غيابات الجهل... وقد قال الله تعالى: ((أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)) (لقمان:20).

هذه النِّعم إن لم يحافظ عليها الناس -وفي مقدمتهم أهل العلم من معلمين ومتعلمين-بالشكر زالت؛ قال الشوكاني -رحمه الله تعالى-: (والشكر لله: الثناء عليه في مقابلة النعمة، وطاعته فيما أمر به، ثم بيّن سبحانه: أن الشكر لا ينتفع به إلا الشاكر، فقال: ((وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ)) لأن نفع ذلك راجع إليه، وفائدته حاصلة له، إذ به تستبقى النعمة، وبسببه يستجلب المزيد لها من الله سبحانه). (الشوكاني، 1428هـ-2007م، ص1141).

أول الشكر هو شكر الله تعالى وحمده على آلائه ونعمه، ثم شكر الوالدين، ويظهر ذلك في قول الله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (12)))، وقوله تعالى أيضا: ((أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14)))؛ ثم شكر أهل الفضل والتربية والتعليم والتكوين، ثم الأدنى فالأدنى، وكل ذلك من شكر الله تعالى، قال النبي - صلى الله

المنارة للاستشارات

عليه وسلم-: ((مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ الله)) (الترمذي، 1382هـ-1962م، ج4، ص339).

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى-: (... وجعل قوله: ((أَنِ اشْكُرْ)) ترجمة عن الحكمة؛ لأن من الحكمة التي كان أوتيها، كان شُكرُه الله على ما آتاه.)، ثم قال: (... ومن يشكر الله على نعمه عنده فإنما يشكر لنفسه، لأن الله يُجزل له على شكره إياه الثواب، وينقذه به من الهلكة،...) (الطبري، 1422هـ-2001م، ج18، ص549). ثم قال أيضا -رحمه الله تعالى-: (وقوله: ((أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ))؛ يقول: وعهدنا إليه أنِ اشكر لي على نِعَمي عليك، ولوالديك على تربيتِهما لك، وعلاجَهما فيك ما عالجا من المشقة، حتى استحكَم قُوَاك.) (الطبري، 1422هـ-2001م، ج18، ص551).وقال القرطبي -رحمه الله تعالى-: (قيل: الشكر لله على نعمة الإيمان، وللوالدين على نعمة التربية. وقال سفيان بن عُيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات فقد شكرهما.). (القرطبي، 1372هـ، ج14، ص65).

وشكر المعلم والمربي والواعظ من هذا القبيل، لما يقدمه من جهد في التربية والتعليم والتكوين من جهة، وللمشقة والتعب الذي يلاقيه من جهة أخرى، حتى يستحكم العلم والتكوين والتربية في المتعلم.

✍ أهمية استعمال الحكمة في التربية والتعليم والتكوين؛ فالمعلم والمربي إذا أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، يسهم به وبشكل جيد في تكوين جيل نافع وحكيم ... قال الله تعالى: ((يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ))(البقرة: 269)، وقال - صلى الله عليه وسلم - : ((لا حسد إلا في اثنتين، ...، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها.)) (البخاري، 1407هـ-1987م، ج1، ص39).

ومن الحكمة: أن يَصْدُق المعلم فيما يلقّنه للمتعلمين، وألا يعلمهم الخطأ؛ وألا يتكلم إلا بما ينفع، ويُعرِض عما لا ينفع؛ وهذا ديدن لقمان وعادته وشأنه وحاله، فقد

المنارة للاستشارات

رُوي عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما–: أن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته، فرآه رجل قبل ذلك، فقال له: ألست عبد بني فلان، الذي كنت ترعى بالأمس؟ قال: بلى. قال: فما بلغ ما أرى؟ قال: قدر الله، وأداء الأمانة وصدق الحديث وتركي ما لا يعنيني. (ابن كثير، 1401هـ، ج3، ص444).

وإذا كانت الحكمة تقتضي الصواب والأمانة ووضع الأشياء في مواضعها المناسبة، وحصول العمل على وفق المعلوم، وإتقان الشيء علما وعملا،... لزم على كل معلم أن يتفطن لكل تلك المعاني أثناء أداء واجبه التعليمي والتربوي، فلا يبخس المتعلمين أشياءهم ولا يظلمهم ولا يحقّرهم أو ينتقص من قدرهم، أو ينابزهم بالألقاب أو يصفهم بقبيح الصفات والأوصاف، فكل ذلك إن حدث يعكر صفو المتعلم ويضعف همته في طلب العلم، وينفره من المربي والمعلّم.

✍ أهمية التعليم عن طريق المشافهة، وأهمية تلقي العلم والمعرفة بالسماع المباشر من الشيخ أو المعلم والمربي والواعظ، ويظهر ذلك في قوله تعالى:((وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ))، وهذا لا ريب أنفع من أن يتعلّم المتعلم من الكتب والمذكّرات والصحف والمجلات، وقد صدق من قال: لا تأخذ القرآن من مصحفي (الذي يحفظ القرآن من غير معلم ومقرئ...) والعلم من صحفي (أي من تعلم العلم من تصفح الكتب والصحف فقط!). فهذا النوع من التّعلم يُسهِم في اكتساب العلم من جهة، والتخلق بأخلاق العلماء وسمتهم، من جهة أخرى.(ينظر: التعليق رقم01).

✍ تلقين المتعلمين الخير وما ينفعهم بالوعظ والارشاد والتوجيه والنصح والتعليم، وإن استنزف ذلك من المعلم والمربي الجهد الكبير واستفرغ منه الوقت الطويل، ويتجلى في قول الله تعالى: ((وَهُوَ يَعِظُهُ))، وهي جملة حالية، والوَعْظ والعِظَةُ والمَوْعِظةُ: النُّصح والتذكير بالعواقب من ثواب وعِقاب، بما يُلَيِّن قلب الإنسان، واتَّعَظَ أي قَبِل المَوْعِظَةَ، يُقال: " السَّعِيد من وُعِظَ بغيره والشَّقِي من اتَّعَظَ به غيره."؛ وقيل هو التذكير بالخير، أو زَجْر مقترن بتخويف فيما يرِقّ له القلب. (الرازي، 1986م،

المنارة للاستشارات

ص303)، (ابن منظور، 1997م، ج7، ص466).

إن أحسن الوعظ وأعظمه هو ما كان من الخالق، العليم الحكيم الذي يقول في محكم تنزيله: ((وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (البقرة:231)، وقال: ((هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ)) (آل عمران:138)؛ وقال أيضا:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)) (يونس: 57).

والوعظ سنّة الأولين من الأنبياء والمرسلين والصالحين، فهذا نوح – عليه السلام – بقي يعظ قومه ويرشدهم ألف سنة إلا خمسين عاما، وبقي لقمان – عليه السلام – أيضا يعظ ابنه حتى توفي؛ وهي سنّة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – حيث أمره الله تعالى بذلك، فقال له: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا)) (النساء:63).

✍ أهمية اختيار المعلم والمربي والمصلح العبارات التي تُشعر بالموعظة الحسنة، واستعمال ما يلين قلب المستمع لتقبل ما يوعظ به أو ما يتعلمه؛ ويمكن استخلاص ذلك من مخاطبة لقمان الحكيم لابنه، حيث بدأ وعظه بأعذب العبارات وأرقها، وقد كررها مرات في موعظته، وهي قوله: ((يَا بُنَيَّ))، ويا بُنَيَّ ويا بُنَيّ لغتان مثل: يا أبتَ ويا أبتِ تصغير محبة، لا تصغير احتقار. (الرازي، 1986م، ص02)، (ابن منظور، 1997م، ج14، ص89). وقد استعملها إبراهيم الخليل –عليه السلام– حين أراد أن يخبر ابنه إسماعيل بما أوحي إليه، قال الله تعالى: ((بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)) (الصافات: 102).

ووعظ أبراهيم أباه قائلا : " يا أَبَت "، قال تعالى: ((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ

المنارة للاستشارات

يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا)) (مريم: 42)، فردها له ابنه إسماعيل –عليه السلام– وخاطبه بها بعد حين من الدهر، وفي موقف يصعب فيه قول مثل هذا النوع من العبارات اللطيفة الريقة، قال تعالى: ((قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)) (الصافات: 102).

هذا الأمر فيه أهمية كبرى بالنسبة للمتلقي الذي يستمال بكلمات عذبة تجعله ينجذب منشرحا صدره لتلقي العلم والموعظة والتوجيه والإرشاد من المعلم والمربي والواعظ، قال تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) (النحل: 125)، قال الشوكاني –رحمه الله تعالى–: ((وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ)) وهى: المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها.)(الشوكاني، 1428هـ-2007م، ص807).

✍ بداية التعليم تكون بتثبيت الأصول والقواعد والأسس، ثم الانتقال إلى ما يتفرع عنها من فروع؛ والبداية بما هو أهم ثم الانتقال إلى ما دون ذلك، فلقمان الحكيم بدأ بأصول الاعتقاد وبما هو مهم حين قال: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)، ثم انتقل إلى ما دون ذلك، كبِرّ الوالدين وغيره. قال الشوكاني –رحمه الله تعالى–:(وبدأ بنهيه عن الشرك، لأنه أهم من غيره.) (الشوكاني، 1428هـ-2007م، ص1142).

لقد كان التّدرج سُنة من سنن نبينا الكريم – صلى الله عليه وسلم – في تعليمه الناس، فحين بعث معاذا إلى اليمن قال له: ((إنّك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله عزّ وجلّ افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة،...)) (البخاري،1407هـ-

المنارة للاستشارات

1987م، ج2، ص505)؛ (مسلم، 1412هـ-1991م، ج1، ص50).

فأحرى بالمعلم والمربي ومن يضع المناهج التعليمية والتربوية أن يبدأ بما هو أهم ثم يتدرج فينتقل إلى ما دونه، ويركز على الأصول والقواعد والأسس والمبادئ ثم يتدرج إلى ما دونها. كما أن قوله لابنه (لاَ تُشْرِكْ بِالله) هي دعوة إلى التمسك بالحق وترك كل ما هو باطل وغير صالح، وفي هذا إصلاح للجانب الروحي، وتنقية لقلب المتعلم وتقويم لعقيدته وتقويتها، وربطها بالله تعالى، وتصفيتها من كل ما قد يشوبها، وهذا كله يزيد من الراحة والطمأنينة النفسية والاستقرار الذهني، ما يجعل عملية التعليم تتم في ظروف ميسرة ومستقرة.

✍ الصبر على المتعلم وطالب العلم، وعدم استعجال النتيجة والثمرة، فقد بقي نوح – عليه السلام – يعظ قومه ويدعوهم إلى الحق ألف سنة إلا خمسين عاما؛ ولقمان – عليه السلام – بقي يعظ ابنه ويرشده حتى مات، قيل: إن اسم ابنه "ثاران" وقيل: "مشكم" وقيل: "أنعم"، وقيل: "ماتان"؛ وذُكر أيضا أن ابنه وامرأته كانا مشركَين، فما زال يعظهما حتى أسلما.(القرطبي، 1372هـ، ج14، ص62)؛ (الشوكاني، 1428هـ-2007م، ص1142). ودل على شركهما قول الله تعالى: ((يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)) (لقمان:13).

✍ أهمية تخلق طالب العلم والمتعلم بالصفات والأخلاق التي ترفعه إلى العلا، وتجعل منه بعد ذلك معلما ناجحا... فالمتعلم عليه تنقيه محيط عيشه وتهيئته بما يجعل منه محيطا مستقرا ومريحا، وأول ذلك المحيط الأسري العائلي، محيط الوالدين، فطاعتهما في المعروف واحترامهما وتوقيرهما والإحسان إليهما... يشيع جو السكينة والراحة داخل الأسرة، ما يساعد في التحصيل والنجاح. فلقمان الحكيم بعد أن بين أصلا مهما تعلق بالجانب الروحي، ذكّر الله تعالى بوجوب الإحسان إلى الوالدين وطاعتهما في المعروف، وفي هذا تحذير للولد بعد تذكيره من قبل والده بما يجب عليه اتجاه خالقه سبحانه، تحذيره من العقوق وعدم طاعتهما في المعروف. كما أن التعامل السيء مع الوالدين سينسحب لا محالة إلى محيط التعلّم ويظهر سوء الأدب

المنارة للاستشارات

مع المعلمين والمربين على حد سواء.

لذا يستحسن من المعلّم والمربي أثناء تعليمه الناس، الإشارة والتذكير بما يساعد طلبة العلم والمتعلمين على التحصيل الجيد والارتقاء في سلم العلوم، وتحذيرهم من كل ما قد يتسبب في خلاف ذلك.

✍ الوالدان هما المدرسة والنواة التربوية الأولى للأبناء، فالواجب فيها تلقين الأطفال المبادئ والأسس والقواعد الصحيحة، التي تُسهم في التكوين التربوي والتعليمي الأولي؛ وفي الآيات إشارة إلى ذلك، قال الله تعالى: ((وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)).

لذا وجب على الأبوين السير على تلك الخطى في التعليم والنصح والتربية، كما أن الواجب عليهما عدم تلقين الأبناء ما يفسد ويعكر صفو فطرتهما التي فُطِروا وجُبِلوا عليها، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– كان يحدّث قال: قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَو يُنَصِرَانِهِ أَو يُمَجِّسَانِه)). (البخاري،1407هـ–1987م، ج4، ص1792)؛ (مسلم، 1412هـ-1991م، ج4، ص 2047).

الطاعة لا تكون إلا في المعروف، فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلّم – : ((لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف)). (البخاري،1407هـ–1987م، ج6، ص2649)؛ (مسلم، 1412هـ-1991م، ج3، ص 1469). فكما أن طاعة الوالدين تكون في المعروف، فكذلك طاعة المعلمين والمربين تكون في المعروف؛ أما إذا أمر الوالدان بالمنكر، وإن استعملا في ذلك التشديد والوعيد...، فلا طاعة لهما فيما يأمران به؛ كذلك الشأن مع المربين والمعلمين، فإذا أمروا بالمنكر أو نصحوا بالسيء من الأقوال والأفعال،... فلا سمع ولا طاعة لهم في ذلك. لكن لما كان الانفصال عن الوالدين وتركهما غير لائق، أمر الله تعالى بمصاحبتهما في الدنيا

المنارة للاستشارات

بالمعروف،... والأمر مع المعلمين والمربين مختلف، فقد يتعلق بدين المتعلم وهويته وأخلاقه... أو يتعلق بعدم أهلية المعلم أو لسوء خُلقه... فلا يصح حينها إبقاء المتعلم مع ذلك المعلّم! أو المربي! أو مصاحبته، أو اتباع سبيله، بل الواجب إيجاد معلم آخر يُوثق في دينه وعلمه وخُلقه، إذ لا طاعة له فيما يأمر به، وفيما ينهى عنه؛ قال الله تعالى: ((وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))، وقال تعالى أيضا: ((وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ(12))) (القلم:10-12)، وقال أيضا: ((وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)) (الكهف:28).

✍ أهمية تخلق المعلم والمربي بمكارم الأخلاق وأطيبها، ومحاسن الصفات وأجملها، ذلك أن الاتصاف بالحَسَن والجميل منها يجلب المتعلمين ويحببهم في طلب العلم، وبالسيء منها ينفرهم منه ومن العلم الذي يعلمه؛ ولعل من أمّهات تلك الأخلاق والصفات التي يجب على الناس تركها فضلا عن العلماء والمربين وطلبة العلم: الكِبر، وتصعير الخد (ينظر: التعليق رقم02)، والخيلاء (ينظر: التعليق رقم03)، والفخر (ينظر: التعليق رقم04)... وقد وعظ لقمان ابنه، وحذّره من الاتصاف بها، فقال له: ((وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)). رُوي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– في معنى المصعّر، قال: (...هو الذي إذا سُلّم عليه لَوَى عنقه كالمستكبر)، وعنه أيضا: " ((وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ)). يقول: لا تتكبّر، فتَحقِرَ عباد الله، وتُعرِضَ عنهم بوجهك إذا كلّموك."(الطبري، 1422هـ-2001م، ج18، ص559).

إن الكِبْر واحتقار الناس من أشنع الأمور التي يمكن أن يتصف بها آحاد الناس فضلا عن المعلم والمربي وطالب العلم، فبعض المعلمين أو المتعلمين إذا علم شيئا أو تحصل على شهادة معينة، تجده يصعّر خده ويلوى عنقه تكبرا كأنه عالم المدينة! وهذا خلاف التواضع الذي هو من شيم العلماء والمتعلمين المخلصين. لذلك كان لزاما على المربين والمعلمين وطلبة العلم، الإقبال على الناس عموما والمتعلمين خصوصا،

المنارة للاستشارات

بوجه طلِق وخُلق حسَن، ليُثمر جهدهم ثمارا يانعة ويُبارك سعيهم وعطاؤهم.

أما قوله لابنه: ((وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ))، فأراد به تحذيره من المشي في الأرض مختالا متكبرا، لأنها من الصفات القبيحة التي يبغضها الله تعالى، ويأنفها أولوا الألباب والنّهى، وهي أيضا من الصفات التي يُنهى عنها عامة الناس فضلا عن خواصهم من أهل التربية والتعليم. وصدق أحمد شوقي حين قال:

قم للمعلم وفيه التبجيلا ... كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمت أشرف أو أجلّ من الذي ... يبني وينشئ أنفاسا وعقولا؟
وإذا المعلّم لم يكن عدلا، مشى ... روح العدالة في الشباب ضئيلا
وإذا المعلّم ساء لَحْظَ بصيرة ... جاءت على يده البصائر حُولا
وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى ... ومن الغرور، فسمّه التضليلا
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأثما وعويلا

وفي مقابلة تلك الأخلاق التي نهى لقمان ابنه عنها وحذّره منها، وجّهه إلى البديل المتمثل في الجميل منها، ورغّبه في امتثالها والاتصاف بها، حيث قال له: ((وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)).

وقوله: ((وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)) يقصد به: تواضع في مشيك إذا مشيت، ولا تستكبر ولا تستعجل ولكن اتّئِد. فعن قتادة –رحمه الله تعالى– في قوله: ((وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)) قال: (نهاه عن الخيلاء). (الطبري، 1422هـ-2001م، ج18، ص563).

قال القرطبي –رحمه الله تعالى– : (لما نهاه عن الخُلق الذّميم، رسم له الخُلق الكريم، الذي ينبغي أن يستعمله، فقال: ((وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)) أي: توسّط فيه؛ والقصد ما بين الإسراع والبطء.).(القرطبي، 1372هـ، ج14، ص71).

فالواجب على المعلم والمربي أن يتّئد ولا يسرع في مشيه، ولا يمشي في خيلاء، ولا يتكبر. كما يمكن استفادة المعلمين والمربين من ذلك في عملية التربية والتعليم، إذ الواجب عليهم القصد والاعتدال والتؤدة في إلقاء الدروس والمواعظ،... والتّدرّج وعدم

المنارة للاستشارات

الإسراع أو البطء الشديد في ذلك؛ لأن الإسراع يرهق ذهن المتعلمين، ويحيد بهم عن الفهم السليم والاستيعاب الجيد لما يُلقى عليهم؛ والبطء الشديد يفوّت عليهم تحصيل العلم الكثير، ويضيع منهم الوقت الكبير.

أما قوله: ((وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ))، فأراد به ترك المبالغة في الكلام، وترك رفع الصوت فيما لا فائدة فيه، لأن غاية من رفع صوته دون سبب أو حاجة أنه تشبّه بالحمير في علو الصوت ورفعه، وهذا بغيض إلى الله تعالى.(ابن كثير،1401هـ، ج3، ص447).يقول ابن جرير –رحمه الله تعالى–: (واخفض من صوتك، فاجعله قصدا إذا تكلّمت). (الطبري، 1422هـ-2001م، ج18، ص563).

وغضّ الصوت وخفضه أيضا من قبيل القصد والاعتدال والتوسط في الأمور، لذلك وجب على المعلم والمربي وطالب العلم على حد سواء القصد في كل شيء، وهو التوسط والاعتدال، وعدم التفريط أو الإفراط.

✍ التَفكُّر في خلق الله تعالى واستحضار عظمته من أهم الأمور التي ينبغي على المعلم وطالب العلم التخلق بها، وفي هذا تذكير بعظمة الخالق وقدرته في هذا الكون، وأنَّهُ سبحانَهُ أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، وبناء عليه وجب على المعلم والمتعلم أن يراقب الله تعالى في جميع أحواله وأن يُخلص في تحصيل العلم النافع المثمر، الذي ينفع ولا يضر، ذلك أنه مَن أيقنَ أنَّ الله عزّ وجلّ محيطٌ بكلِّ شيءٍ علمًا، سعى في نَيْل محبَّته ورضاه، وأحسنَ في عملِه، وراقبَه في تعامُلِه مع الخلْقِ، ونفعَ وأفادَ ولَمْ يضر ولم يُسِئْ، وتواضع للناس عموما ولتلامذته خصوصا، فالإنسان قد يَعلم ويتعلّم شيئا وتغيب عنه أشياء؛ وفوق كل ذي علم عليم.

✍ العالم والمربي عليه إدراك حقيقة مهمة، وهي أن بذل الجهد والوسع في التعليم والجدّ فيه، لن يضيع، وإن كان بمقدار حبّة من خردل، فالله تعالى لم يترك الناس سُدى، قال سبحانه: ((أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)) (القيامة: 36)؛ بلا أَمر ولا نهي ولا بيان لما يحتاجون إليه، وبلا ثواب ولا عِقاب، قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ

المنارة للاستشارات

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا)) (النساء:40)، وقال سبحانه أيضا: ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ(7)وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ(8))) (الزلزلة:7-8).

وما سبق ذكره يمكن الاستفادة منه من قوله: ((يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)). قال ابن جرير -رحمه الله تعالى- : (لأن الله تعالى ذِكرُه لم يَعِد عباده أن يوفِّيَهم جزاءَ سيئاتهم دون جزاء حسناتهم، فيقالَ: إن المعصية إن تكُ مثقالَ حبة من خردل يأت بها الله، بل وعَد كِلا العامِلَين أن يوفِّيَه جزاء أعمالهما...).(الطبري، 1422هـ-2001م، ج18، ص555).

✍ أداء الواجبات، من الأمور التي يجب على المعلم والمربي وطالب العلم القيام بها، واجبات اتجاه الخالق سبحانه وتعالى، بتوحيده ونبذ الشرك عنه، وإقام الصلاة... وواجبات اتجاه الخَلق، ومنها برّ الوالدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع الصبر والاحتساب لما قد يصيب لأن ذلك مما أمر الله تعالى به من الأمور وعزما منه.

كما أن الواجب على المعلم أن يأمر المتعلمين ويبيّن لهم الحق والصواب والواجبات، ويأمرهم بالمعروف من الأقوال والأفعال، ويحثهم عليها، ومن الأمر بالمعروف: دعوة المتعلمين وحثهم على طلب العلم والجد فيه، وبذل الوسع في تحصيله...؛ وينهاهم عن المنكرات والمفاسد والمحرمات ويبيّنها لهم، ومن المناهي والمحرمات الواجب التنبيه عليها والنهي عنها: ترك طلب العلم والفتور والكسل والتّواني عن السعي في تحصيله، والغشّ، والاشتغال بالملاهي والألعاب في نظير التعلّم، وغير ذلك. يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وإن أصابه في ذلك ما أصابه من تعب أو إعراض أو أذى... مع امتثال كل ذلك في نفسه ابتداء باعتباره قدوة لغيره، خاصة من يعولهم بالعلم والتربية والتكوين، وهذا كله يمكن الاستفادة منه

المنارة للاستشارات

من قوله: ((يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) (لقمان: 17).

ولعل الصبر على طلب العلم وتعليم الناس وتربيتهم، وبذل الوسع في ذلك من أهم وأحلّ ما يجب أن يتحلى به العالم والمربي والمتعلم على حد سواء.

✍ ورد بعد وصايا لقمان لابنه، قول الله تعالى: ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ))؛ وقد ذكر المفسرون في تأويل معنى الآيات: أن من الناس من يخاصم في توحيد الله تعالى وفي الدين الحق الذي ارتضاه الله تعالى، الذي يقتضي الإخلاص والطاعة، والعبادة والانقياد لله تعالى دون غيره من المعبودات التي لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، يخاصم العبد بغير علم ولا هدى ولا بيان أو برهان، ولا كتاب منزّل منير، يُبيّن صحة دعواه وما يدّعيه. (الطبري، 1422هـ-2001م، ج18، ص568)، (ابن كثير،1401هـ، ج3، ص451).

فالواجب على طالب العلم إن ناظر غيره أو جادلهم أن يكون له علم وحجة، وبيّنة وبرهان، يثبت بها صدق دعواه؛ وأن يكون ذلك الحجاج والجدال بالحسنى، قال الله تعالى: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) (النحل: 125)؛ فلو كان فضا غليظ القلب، وحاول إقامة حجته بالغلظة، وبالسيء من القول والفعل، لنفر الناس عموما والمتعلمين خصوصا من حوله، وانفضوا وانصرفوا، قال الله تعالى: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...)) (آل عمران: 159). هذا من جهة ومن جهة أخرى، إن كانت حجة طالب العلم ضعيفة، وكانت حجة خصمه صحيحة وقوية، وجب عليه الرجوع إلى الحق وعدم اتباع الهوى، ولا تأخذه في ذلك العزة بالإثم، فالذي يهدي إلى الحقّ أحقُّ أن يُتَّبع، قال الله تعالى:

المنارة للاستشارات

((وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ)) (البقرة:206)، وقال أيضا: ((وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)) (غافر: 05)؛ قال الطبري –رحمه الله تعالى–: (وقوله ((وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)) يقول: وخاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة، ليبطلوا بجدالهم إياه وخصومتهم له، الحقّ الذي جاءهم به من عند الله) (الطبري، 1422هـ-2001م، ج20، ص281).

7/- <u>الخاتمة</u>:

أختم بذكر أهم النتائج المستخلصة، وأهم التوصيات المقترحة، فيما يلي:

أ/- <u>أهم النتائج</u>: تتمثل أهم وأبرز النتائج المستخلصة التي توصلت إليها فيما يلي:

1) التعليم والوعظ والنصح والإرشاد إلى ما ينفع، له تأثير نافع وكبير في مجال التربية والتعليم، وهو سمة من سمات أهل الصلاح والخير.
2) وصايا لقمان الحكيم خلّدها الله تعالى في كتابه العزيز، وامتدحها العلماء والوعّاظ والمربين عبر العصور.
3) من أهم ما تضمنته الآيات الكريمة التي تضمنت وصايا لقمان الحكيم والتي يمكن الاستفادة منها في مجالات التربية والتعليم والتكوين ما يلي:

- شكر الله تعالى على نِعمه مهم بالنسبة للمعلم والأستاذ والمربي وطالب العلم، ومنها نعمة العقل الراجح والسليم والسمع والبصر ونعمة تحصيل العلم النافع ...
- الأولى بالعالم والمربي وطالب العلم شكر الله تعالى، ثم الوالدين ثم أهل الفضل والإحسان وفي مقدمته: المربون والمعلمون.
- أهمية استعمال الحكمة في التربية والتعليم والتكوين، ذلك أن من أوتي الحكمة من المربين والمعلمين وحتى المتعلمين فقد أوتي خيرا كثيرا؛ يسهم ذلك في

المنارة للاستشارات

تكوين جيل صالح ونافع.

- أهمية التعليم عن طريق المشافهة، وتلقي العلم والمعرفة بالسماع المباشر من المعلم والمربي والواعظ، لأن ذلك يُسهِم في اكتساب العلم من جهة، والتخلق بأخلاق العلماء وسَمْتِهم من جهة أخرى.
- أهمية اختيار المعلم والمربي والمؤدب وغيرهم لأعذب العبارات وأرقها، والتي تُشعر بالموعظة الحسنة، وتلين قلب المستمع لتقبل ما يوعظ به أو ما يتعلمه.

- بداية التعليم تكون بتثبيت الأصول والقواعد والأسس، ثم الانتقال إلى ما يتفرع عنها من فروع.
- الوالدان هما المدرسة والقاعدة الأساسية الأولى للأبناء، فيها يُلقن الأطفال المبادئ والأسس والقواعد التي تُسهم في التكوين التربوي والتعليمي الأولي.
- الطاعة لا تكون إلا في المعروف، فالمعلم أو المربي إذا أمر بمنكر أو علّم أو وصى بما يضر ولا ينفع فلا طاعة له.
- أهمية القصد والاعتدال والتوسط في الأمور كلها، بالنسبة للمعلم والمربي وطالب العلم على حد سواء.
- أهمية تخلق المعلم والمربي بمكارم الأخلاق وأطيبها، ومحاسن الصفات وأجملها، واجتناب السيء منها كالكِبر، وتصعير الخد، والخيلاء وغيرها.
- العالم أو المربي عليه إدراك حقيقة مهمة وهي أن بذل الجهد في التربية والتعليم لن يضيع سدى، وإن كان بمقدار حبّة من خردل، لذا وجب الصبر على طلب العلم وتعليم الناس وتربيتهم، من جهة، وعدم استعجال نتيجة وثمرة ما يبذل من الوسع في التعليم، من جهة أخرى؛ وصفة الصبر هذه من أجلّ ما يجب أن يتصف ويتحلى به العالم والمربي والمتعلم على حد سواء.

المنارة للاستشارات

4) لم يذكر الله تعالى مواعظ وحكم ووصايا لقمان ويخلدها لمجرد الذكر فقط، بل للاقتداء والعمل والتخلق بها وامتثالها في حياتنا، ووَعْظ من يمكن وعظه من أبناء وتلاميذ وطلبة علم وغيرهم، حتى يعم نفعها.
5) الإخلاص والنية الصادقة في التربية والتعليم، وفي تقديم المواعظ والوصايا يجعلها خالدة، وتكون من السنن الحميدة التي يؤجر صاحبها عليها ويأخذ أجر من عمل بها، فقد خُلّد ذكر لقمان رغم انقضاء الأيام ومرور الزمان.

ب/- أهم التوصيات:

لعل من أبرز التوصيات التي يوصى بها في مثل هذا المقام هو دعوة الباحثين في المجال الاجتماعي عموما والمجال التربوي والتعليمي خصوصا، إلى الاعتناء بمواعظ وحكم ووصايا لقمان الحكيم، وامتثالها عمليا وتطبيقها ميدانيا، لما لها من الفوائد النافعة والأثر البالغ في التربية والتكوين؛ والاستفادة منها ببرمجتها في المناهج التربوية والتعليمية.

كما أوصي طلبة العلم بما جاء في منتقى أبي الوليد الباجي -رحمه الله تعالى- : (قول لقمان لابنه: "**جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك**"، يريد القرب منهم بمجالسته لهم حتى يأخذ بأيديهم، ويتعلم من حكمتهم، ولا يفوته من قولهم ما يفوت من بَعُد عنهم، وإن كان مجالسا لهم... فلعل الرحمة تنزل عليهم، فتصيبك معهم، ولا تجالس الفجّار لئلا ينزل عليهم سخطه فيصيبك معهم.) (الباجي، 1420هـ- 1999م، ج9، ص518-519).

8/- التعليقات:

التعليق رقم (1): السَّمتُ : من سَمَتَ يَسْمُتُ سَمْتاً، ورجل حسنُ السَّمْت أَي: حسنُ القَصْد والمَذْهَب في دينه ودنْياه، يقال سَمَتَ لهم يَسْمِتُ سَمْتاً إذا هَيَّأَ لهم وَجْهَ العَمَل وَوَجْهَ الكلام والرأْي. وهو يَسْمِتُ سَمْتَه أَي يَنْحُو نَحْوَه؛ والسَّمْتُ اتِّباعُ الحَقِّ

المنارة للاستشارات

والهَدْيِ وحُسْنُ الجِوار وقِلةُ الأَذِيَّةِ. والتَّسْميتُ الدعاء بالبركة، وسَمَّتَ العاطِسَ تَسْميتاً وشمَّتَه تَشْميتاً إذا دعا له بالهدي والبركة. ينظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص131؛ ابن منظور، **لسان العرب**، ج2 ،ص46.

التعليق رقم (2): الصَّعَرُ بفتحتين مَيَلٌ في الوَجْهِ، وقيل: ميل في الخد خاصة، وقيل: هو مَيَل في العُنُق وانْقِلاب في الوجه إلى أَحد الشقَّين. وقد صَعَّرَ خَدَّه تَصْعِيرا وصَاعَرَهُ: أَمالهُ من الكِبْرِ؛ والصَّعَّارُ: المتكبر. وقيل: الصَّعَرُ داءٌ يأْخذ البعير فيَلْوِي منه عُنُقَه ويُميلُه، وصَعِرَ صَعَراً، فهو أَصْعَر.

ينظر: **الرازي، مختار الصحاح**، ص152؛ **ابن منظور، لسان العرب**، ج4، ص456.

التعليق رقم (3): المختال من الخيلاء، وقد اخْتَالَ وهو ذو خُيَلاَّ وذو خالٍ وذو مَخِيلة أَي: ذو كِبْر. ينظر: **ابن منظور، لسان العرب**، ج11، ص228.

التعليق رقم (4): الفخور: المتكبر. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج5، ص49.

9/- قائمة المصادر والمراجع:

1) **القرآن الكريم**.
2) **ابن الجوزي**، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ) **زاد المسير في علم التفسير**، ط3، 1404هـ-1984م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
3) **ابن العربي**، أبوبكر محمد بن عبد الله (ت: 543هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، 1424هـ - 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
4) **ابن كثير**، أبو الفدا، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، 1401هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.
5) **ابن منظور**، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم المصري، **لسان العرب**،

المنارة للاستشارات

دار صادر، بيروت، ط1، سنة: 1997م.

6) **الباجي**، أبو الوليد سليمان بن خلف، (ت: 494هـ)، **المنتقى شرح موطأ مالك**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط1، 1420هـ- 1999م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

7) **البخاري**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت: 256هـ)، **الجامع الصحيح**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3،1407هـ-1987م، دار ابن كثير واليمامة، بيروت، لبنان.

8) **الترمذي**، محمد بن عيسى السلمي (ت: 279هـ)، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

9) **الرازي**، محمد بن أبي بكر، (ت: 666هـ)، **مختار الصحاح**، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، (د.ط)، سنة: 1986م.

10) **الشوكاني**، محمد بن علي بن محمد (ت: 1250هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، ط4، 1428هـ-2007م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

11) **ابن عاشور**، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، 1984م، الدار التونسية للنشر، تونس.

12) **الطبري**، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، (تفسير الطبري)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط1، 1422هـ - 2001م، دار هجر، القاهرة، مصر.

13) **القرطبي**، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت: 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط2، 1372هـ، دار الشعب، القاهرة، مصر.

المنارة للاستشارات

14) **مالك ابن أنس**، (ت: 179هـ)، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 1406هـ - 1985م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

15) **مسلم** بن الحجاج النيسبوري القشيري (ت: 261هـ)، **المسند الصحيح**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، 1412هـ-1991م، دار إحياء الكتب العربية، ودار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المنارة للاستشارات